

٣١٤٠

فتاوى كامل

التخصية بين الحرية والعبودية



0046421



Bibliotheca Alexandrina

٢١٤٠

حكاياتك

رئيس التحرير أنيس منصور

فؤاد كامل

الشخصية بين الحرية والعبودية



دارالمعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

رأى فى الشخصية

هذا رأى الفيلسوف المعاصر « نيقولا برديائف »^(١) فى الشخصية ..
أحببت أن أطلع عليه القارئ العربى لأصالته وطرافته وعمقه فى آن
واحد . فهذا الفيلسوف الوجودى المتصوف يجعل من الشخصية
الإنسانية محوراً لفلسفته ، ويضفى عليها من القيمة ما يذكرنا بجوهر النظرة
الإسلامية إلى الإنسان ، أعنى بوصفه خليفة الله على الأرض . وقد
عرض « برديائف » رأيه هذا فى الشخصية فى كتابه القيم : « العبودية
والحرية » . وفيما يلى ملخص هذا الرأى :

(١) نيقولا ألكسندر ولينش برديائف (كييف ١٨٧٤ - كلامار ١٩٤٨) أشهر الفلاسفة
الروس المحدثين . كان أستاذاً لفلسفة اللغة فى جامعة موسكو (١٩٢٠) ، ولكنه اختلف مع
الحكومة السوفيتية من حيث العقيدة السياسية والدينية ، فأصدرت حكماً بنفيه (١٩٢٢) مع
مائة من المفكرين الآخرين ، وأقام منذ ذلك الحين بضاحية كلامار على مقربة من باريس حتى
وفاته منته . وقد ترك برديائف تراثاً ضخماً من المؤلفات الفلسفية ، ترجم معظمها إلى لغات
عديدة . ومن أهمها « الذاتية والمثالية فى الفلسفة الاجتماعية » و « من وجهة نظر الخلود » الوعى
الدينى الجديد والمجتمع » و « فلسفة الحرية » و « تصور دوستويفسكى للعالم » و « معنى التاريخ »
و « عصور وسطى جديدة » و « مصير الإنسان » و « العبودية والحرية » الخ . ونقل كاتب
هذا المقال إلى العربية ثلاثة من كتبه هى : « العزلة والمجتمع » و « الحلم والواقع » و « أصل
الشيوعية الروسية » . وفلسفة برديائف دينية فى جوهرها ، وهى تأمل لتجربة فردية فى ضوء
الإيمان المسيحى .

لغز الإنسان :

الإنسان في هذا العالم لغز ، بل لعلة اللغز الأكبر ! وليس الإنسان لغزاً لأنه حيوان اجتماعي ، أو بمعنى آخر لأنه جزء من الطبيعة وعضو في مجتمع ، بل هو لغز لأنه شخص ، ولأنه يمتلك شخصية . فالعالم كله ليس شيئاً إذا قورن بالشخصية الإنسانية ، وبشخص الإنسان الفريد ، ومصيره المتفرد . الإنسان يعيش في كبد ، ويتحرق إلى معرفة نفسه ، من أين جاء ، وإلى أين هو ذاهب . ويستطيع الإنسان أن يعرف نفسه من أعلى أو من أسفل ، من نوره الخاص ، من المبدأ الإلهي الكامن في طبيعته ، أو من ظلامه الخاص ، من مبدأ اللاشعور الأولي الشيطاني المستقر في أعماقه . وهو يستطيع أن يفعل ذلك لأنه كائن مزدوج متناقض ، فهو شبيه الإله ، وشبيه الحيوان ، يسمو إلى الدُّرِّا وينحط إلى الحضيض ، حر ومستعبد ، قادر على أسْمَى أنواع الحب والتضحيات ، ولكنه خَلِيق في الوقت نفسه بارتكاب أشنع ضروب القسوة والعنف والأناية .

إزدواج متناقض :

وقد أدرك كلُّ من « دوستوفسكي » و « كيركجورد » و « نيتشه » هذا الطابع المأساوي الفاجع في الإنسان ، وهذا التناقض في طبيعته

إدراكاً حاداً متميزاً ، وسبقهم « بسكال » إلى التعبير عن هذا الازدواج في الإنسان تعبيراً صادقاً مؤثراً . وإذا كان بعض المفكرين قد نظروا إلى الإنسان بوصفه كائناً ساقطاً تتحكم فيه القوى الأولية ، وتحركه المناهع المادية ، والدوافع الحسية اللاشعورية ، فإن عدداً آخر من المفكرين قد شهد للإنسان بأنه يتعذب من جراء هذه السقطة ، وبأنه يريد أن يكفّر عنها ، ويرتفع فوقها . ووعي الإنسان بشخصيته هو الذي يتحدث عن طبيعته التواقة إلى الصعود ، وعن رسالته السامية . الشخصية دليل على أن العالم ليس مكثفياً بذاته ، وأن في الإمكان التغلب عليه وتجاوزه . وعندما يدخل الشخص الإنساني العالم ، وعندما تظهر الشخصية الإنسانية الفريدة التي لا تتكرر ، ينقطع مجرى التاريخ ، ويرغم على تغيير مساره ، وإن لم تظهر على ذلك علامة في الخارج .

فالإنسان ، الإنسان الوحيد الذي تعرفه علوم البيولوجيا والاجتماع ، الإنسان بوصفه كائناً طبيعياً واجتماعياً - هو نتاج هذا العالم والعمليات التي تجري فيه . ولكنه بوصفه شخصية ، لا يعد وليد هذا العالم ، بل ينحدر حين ذاك من أصل آخر ، وسلالة أخرى . وهذا ما يجعل الإنسان لغزاً ، لأن الشخصية ولوج واقتحام ، ادخال شيء جديد في هذا العالم .

والإنسان لا يكون شخصية لأنه يمت إلى الطبيعة بنسب ، بل هو بالروح شخصية ، وبالطبيعة فرداً Individual . وليست الشخصية

« ذرة روحية » (Monad) تتدرج تحت فئات متصاعدة من « المونادات » وتخضع لها ، وإنما الشخصية « كون مصغر » (ميكروكوسموس Microcosmos) ، كون كامل . ولا يمكن أن تكون جزءاً في علاقة مع كلٍّ من أى نوع آخر ، أيًا كانت ضخامته ، حتى لو كان هذا الكل هو الكون بأسره . هذا هو المبدأ الأساسى فى الشخصية ، وهذا هو سرها . و « الموناد » مخلقة موصدة ، لا أبواب فيها ولا نوافذ ، أما الشخصية فتفتتح اللانهاية أمامها ، وهى تدخل اللانهاية ، وتحتضن اللانهاية ، وفى اكتشافها لذاتها تتجه صوب مضمون لامتناه .

بيد أن الشخصية تفترض فى الوقت نفسه شكلاً وحدوداً ، فهى لا تتمرج بالبيئة المحيطة بها ولا تذوب فى العالم من حولها . الشخصية هى الكلى فى شكل فردى لا يتكرر . هى اتحاد الكلى اللامتناهى فى الفردى الجزئى . وفى هذا التناقض الظاهرى تقوم الشخصية . فالشخصى فى الإنسان هو ذلك الذى لا يشترك فيه مع الآخرين ، بيد أن هذا الذى لا يشارك الآخرين فيه يتضمن إمكانية وجود الكلى بالقوة . الشخصية ليست جزءاً من الكون ، وإنما الكون جزء من الشخصية ، صفة من صفاتها ، وخاصية من خصائصها .

الشخصية هى اللامتغير فى التغير ، وهى الوحدة فى المتعدد . وأنه لما يثير دهشتنا حقاً أن نجد اللامتغير فى الإنسان دون أن نجد التغير ، أو أن نجد التغير دون أن نجد اللامتغير ، أو حين نجد الوحدة دون أن نجد

التعدد ، أو التعدد دون الوحدة . ففي كلتا الحالتين تتبدى صفة الشخصية الجوهرية ، وخاصيتها الأساسية . فليست الشخصية حالة متجمدة ثابتة ، بل هي تنمو وتتطور وتزداد ثراء ، ولكنه نمو وتطور وثناء ذاتٍ واحدة بعينها . وما يحدث من تغير فإنما يحدث للمحافظة على هذه الذات الثابتة اللامتغيرة .

البناء الدائى المستمر للشخصية

والشخصية ليست بحال من الأحوال من المعطيات الجاهزة ، ولكنها
وضع لسؤال ، وطرح لمشكلة ، هى المثل الأعلى للإنسان ، فالوحدة
الكاملة التامة للشخصية مثل أعلى يصبو إليه الإنسان ويتوق إلى بلوغه .
الشخصية تبنى نفسها دائماً وأبداً ، ولا يستطيع إنسان كائناً ما كان أن
يقول عن نفسه إنه شخص بالتام والكمال . بل على الشخصية أن تشيد
نفسها وأن تثرى ذاتها ، وأن تمتلئ بمضمون كلى ، وأن تحقق الوحدة فى
مدى عمرها . فهى ليست فى بداية الطريق ولكنها فى نهايته ، وهى
ليست أجزاء يُضاف بعضها إلى البعض الآخر ، وهى ليست تركيباً أو
تكويناً لكل ما من هذه الأجزاء ، وإنما تعنى بالأحرى الأفعال الخلاقة
للشخصية ، بوصفها كلاً متكاملًا ، وهى حاضرة بوصفها كلاً متكاملًا
فى كل فعل من أفعالها . فللشخصية شكل فريد غير متكرر هو ما يسمى
بالجشطات Gestalt . وربما كان علم نفس الجشطات الذى يرى أن
الشكل هو القيمة الكيفية الأولية - هو أقرب اتجاهات علم النفس إلى
الترعة الشخصية .

وانقسام شكل الشخصية لاي معنى بحال من الأحوال اختفاءها
النهائى ، ذلك أن الشخصية شىء لا يناله التدمير أو الفناء . فهى نمجا

وفقاً لمصيرها الخاص ، وتستمد ينبوع قوتها من وجود يعلو عليها (هو وجود الله)

وفي كل شخصية إنسانية ثمة ما هو مشترك ، ما هو كل ، وليس هذا هو الكلي الداخلى الذى تكتسبه الذاتى بفعل خلاق لمضمون كينى من مضامين الحياة ، ولكنه كلى خارجى . غير أن الشخصية - هذه الشخصية المتفردة - توجد بما لها من تعبير غير مشترك ، لا بأن لها عينين كالآخرين ، وبما فى هذين العينين من تعبير مشترك . وهناك فى الشخصية الإنسانية الكثير مما يتسبب إلى الجنس البشرى ، ويتمى إلى التاريخ والتراث والمجتمع والطبقة والأسرة ، الكثير مما هو « مشترك » . بيد أن هذا بالذات هو ما ليس « شخصياً » فى الشخصية . أما ما هو « شخصى » فيتصف بالأصالة ويرتبط بالينبوع الأولى الحقيقى للوجود .

ينبغى أن تكون الشخصية هى « الاستثناء » . وكل ما هو نوعى وورائى ما هو إلا مادة لنشاط الشخصية الخلاق . وما تلقيه الطبيعة والمجتمع على الإنسان من أعباء وأحمال ثقالة ، وما يحمله إياه التاريخ والحضارة من مطالب ومهام جسام ، يتخذ هذا كله هيئة الصعوبات التى تتحدانا ، التى تثير فىنا روح المقاومة والعزم على تحويلها إلى ما هو شخصى ، أو استيعابها فى شخصيتنا بجهد خلاق . فالشخصية فى

الإنسان هي الانتصار على ما تفرضه علينا الطبيعة والمجتمع والتاريخ
والوراثة من تحديدات وقيود ، هي انتصار الحرية على العبودية ، انتصار
على الذات وعلى العالم ... الشخصية بمجهود وصراع وتحرر .

العقلانية والحرية

والشخصية كائن عقلاى ، بيد أنها لا تتحدد بالعقل وحده ، ذلك لأن العقل فى حد ذاته شىء لا شخصى ، لأنه كلى مشترك بين جميع الناس . وطبيعة الإنسان الأخلاقية والعقلية عند « كانت » طبيعة لا شخصية مشتركة . والفكر اليونانى حين فهم الإنسان على أنه كائن عاقل لم يقترب من الفلسفة الشخصانية ، فالشخصية ليست كائناً عقلائياً فحسب ، بل هى أيضاً كائن حر . الشخصية هى جعاع تفكيرى ، وجعاع شعورى ، وجعاع إرادى ، وجعاع نشاطى الخلاق . أما العقل فى الفلسفة اليونانية ، وفى المثالية الألمانية فعقل لا شخصى ، عقل كلى . ولكن هناك أيضاً عقلى الشخصى ، وبالأخص إرادى الشخصى . ولهذا لا يمكن أن تؤسس التزعة الشخصانية على المثالية ، سواء كانت أفلاطونية أو ألمانية ، كما لا يمكن أن تقوم على التزعة الطبيعية أو الفلسفة التطورية أو الحيوية ، وهى جميعاً فلسفات تذيب الشخصية فى عمليات لا شخصية أو كونية أوحوية . وكان لماكس شيلر Max Scheler فضل تحديد الاختلاف بين الشخصية والكل العضوى organism ، وبين الوجود الروحى والوجود العضوى .

فالشخصية ليست مقولة بيولوجية أو نفسية ، ولكنها مقولة أخلاقية

روحية . ولا يمكن أن تتطابق الشخصية مع النفس ، لأن لها أساساً أولياً - لا شعورياً . والإنسان في حياته اللا شعورية غارق في خضم الحياة الأولية الهادرة العاصفة ، ولا يخضع للعقل إلا شطراً ضئيل منه ، ولا بد من التمييز فيه بين « الأنا » العميق والأنا السطحي . وكثيراً ما يبدي الإنسان للآخرين وللمجتمع « أناه » السطحي فحسب ، ذلك الأنا الذي يقدر على ضروب شتى من الاتصال Communication الخارجي ، ولكنه ينجز عن التواصل Communion . وقد اهتدى تولستوى إلى هذا المعنى اهتداءً بديعاً ، فهو يصور لنا دائماً حياة الإنسان المزدوجة : حياته الخارجية المتقلبة مع الظروف ، الزائفة غير الحقيقية التي تظهر في علاقته بالمجتمع والدولة والمدنية ، وحياته الباطنية الحقيقية التي يواجه فيها الإنسان الواقع الأولي ، وأغوار الحياة . وعندما يتأمل « الأمير آندرو » في رواية « الحرب والسلام » السماء المرصعة بالنجوم يحيا في هذه اللحظة حياة أصدق من حياته حين يشتبك في المناقشة في أحد صالونات بطرسبرج . فالأنا السطحي المتحضر المتعقل الاجتماعي ليس هو الشخصية في الإنسان ، بل ربما كان تشويهاً لصورة الإنسان ، قناعاً يخفي شخصيته . والإنسان يلعب دوراً في الحياة ، وربما كان الدور الذي يلعبه ليس هو دوره الحقيقي ، بل وقد يكون الزيف والتريف ضرورة مفروضة على الإنسان كوسيلة من وسائل الدفاع عن النفس . وهكذا يمكن أن يتخذ الإنسان المتمدن المتحضر صورة لا شخصية

تماماً ، فيصبح عبداً دون أن يفطن إلى ذلك .
 وليست الشخصية جزءاً من المجتمع ، كما أنها ليست جزءاً من
 الجنس . فشكلة الإنسان ، أعنى مشكلة الشخصية أعمق من مشكلة
 المجتمع وأشد أولية . والمذاهب الاجتماعية عن الإنسان سخاطة كلها ،
 لأنها لا تعرف إلا القشرة السطحية الموضوعية من الإنسان . والنظر إلى
 الأشياء من وجهة النظر الاجتماعية يقف عند الظاهر الخارجي للشخصية
 بوصفها جزءاً ثانوياً من المجتمع ، بل جزءاً شديد الضآلة إذ قيس
 بضخامة المجتمع ، ولهذا لا تستطيع إلا فلسفة وجودية - لا فلسفة
 اجتماعية أو بيولوجية - أن تضع مذهباً حقيقياً عن شخصية الإنسان .
 والشخصية ذات ، وليست موضوعاً بين سائر الموضوعات ، وهي
 تضرب بجذورها في النظام الباطن للوجود ، أعنى في العالم الروحي ،
 عالم الحرية . أما المجتمع فيمكن النظر إليه كموضوع ، فهو من وجهة
 النظر الوجودية جزء من الشخصية ، وهو جانبها الاجتماعي ، كما أن
 الكون جزء من الشخصية ، هو جانبها الكوني . ليست الشخصية
 موضوعاً بين موضوعات ، أو شيئاً بين أشياء ، وإحالتها إلى موضوع أو
 شيء معناه موتها . وقد يقال إن الطبيعة والمجتمع يزودان الإنسان بالمادة
 التي يؤلف بها شخصيته . والواقع أن الشخصية تحرر من الاعتماد على
 الطبيعة ، ومن الاعتماد على المجتمع وعلى الدولة ، وهي تعارض كل
 تحديد من الخارج ، لأنها تحديد من الداخل دائماً . بل إن العلاقة بين

الله والشخصية ليست علاقة سببية ، وإنما تقوم هذه العلاقة خارج مجال التحديد ، وإنما تقوم داخل مجال الحرية . فالله ذات بالنسبة للشخصية ، ذات يمكن أن تنشأ بينه وبين الشخصية الإنسانية علاقات وجودية . أما كل ما يتحدد من الخارج ، وكل ما يقوم على قوة عالم الأشياء والموضوعات ، فهو غير شخصي ، هو اللا شخصي في الإنسان . وكل ما يتحدد في الأنا الإنساني ينتسب إلى الماضي ، ويصبح لا شخصياً .

الشخصية والمستقبل

بيد أن الشخصية هي إخراج المستقبل إلى حيز الوجود ، وهي تتألف من أفعال خلاقة . ووجود الشخصية يفترض الحرية ، وسر الحرية هو سر الشخصية . وليست هذه الحرية هي حرية الإرادة بالمعنى الأولي الذي هو حرية الاختيار الذي يفترض التعقل . فقيمة الإنسان تكمن في الشخصية التي يضمها بين جوانحه ، والقيمة الإنسانية هي التحرر من العبودية ، بل هي التحرر من الفهم الدليل للحياة الدينية ، وللعلاقة بين الإنسان والله . فالله هو الضامن لحرية الشخصية من القوة المستعبدة للطبيعة والمجتمع ، لملكة قيصر ولعالم الموضوعات . وهذا كله يتم في ملكوت الروح لا في عالم الموضوعات والأشياء ، ولا شيء من مقولات العالم الموضوعي يمكن أن تُنقل إلى هذه العلاقات الوجودية الباطنة .

والشخصية بوصفها مركزاً وجودياً تفترض القدرة على الشعور بالألم والفرح . وليس في العالم الموضوعي ، سواء كان أمة أو دولة أو مجتمعاً أو مؤسسة اجتماعية أو كنيسة ما يملك هذه القدرة . وهم يتحشون عن آلام الجماهير بمعنى مجازي ، إذ لا يمكن وصف أية جماعة أو طائفة في عالم الموضوعات بأنها شخصية . والحقائق الجماعية قيم حقيقية ، ولكنها ليست

شخصيات حقيقية . وقد يسمح الإنسان بالكلام عن نفوس جماعية ، لا
بالكلام عن شخصيات جماعية .

تحقيق الشخصية :

والحق أن الإنسان بطبعه يميل إلى تجسيد كل ما يجب وكل ما يثير
شفقته ، من جهادات أو أفكار مجردة ، بيد أن هذه عملية شاعرية إن
صح هذا التعبير ، ولكنها لا تعنى أن هذه التجسيديات شخصيات
حقيقية . فليست الشخصية قادرة على معاناة الألم فحسب ، ولكنها الألم
نفسه بمعنى من المعاني . فالنضال من أجل تحقيق الشخصية وبلورتها
عملية أليمة مخوفة بالمكاره والمخاطر . وتحقيق الشخصية لذاتها يفترض
المقاومة ، ويقتضى مصارعة القوى التي تستعبد الإنسان في العالم ،
ورفضاً للمطابقة مع العالم . أما الإحجام عن تكوين الشخصية ،
والاستسلام للذوبان في العالم المحيط فيمكن أن يخفف من العذاب
والألم . وما أيسر أن يسلك الإنسان هذا السبيل ، فالاستسلام للعبودية
يقلل الألم ، أما رفضها فيضاعفه . والألم في العالم الإنساني هو علامة
مولد الشخصية . وكفاحها من أجل بلوغ طبيعتها الخاصة . وقيمة
الإنسان ، أو قيمة الشخصية تقدر بقدرته على تحمل الآلام . وهذه
القدرة على تحمل الآلام لا وجود لها في الهيئات أو المؤسسات الجماعية ،
أو في القيم المثالية . فالشخصية الإنسانية إذن هي القيمة العليا ، وليست

المجتمع أو الهيئات الجماعية التي تنتمي إلى عالم الموضوعات كالمجتمع أو الأمة الدولة أو المدنية أو الكنيسة .

وترتبط الشخصية بالذاكرة ، وتتصل بمصير الإنسان كله ، وتاريخ حياته كله ، ومن ثم فإن وجود الشخصية أمر عسير وألم . وعلى الفلسفة الشخصية أن تدرك أن الروح - التي هي منبع الشخصية - لا تعمم وإنما تنزع إلى التفريد إن صح هذا التعبير .
 "Spirit does not generalize but individualizes" وهذا معناه أنها لا تبدع عالماً من القيم المثالية المشتركة العالية على ما هو إنساني ، وإنما تبدع عالماً من الشخصيات الذين يتميزون بمضمون كيني . وانتصار المبدأ الروحي لا يعنى إخضاع الإنسان للكون ، بل يعنى الكشف عن الكون في الشخصية . ولو أن إنساناً تخيل أنه وهب أعظم المواهب من عقل وعبقرية وجمال وخير وقداسة ، ولكن مع إزالة المركز الوجودي فيه ، وزحزحة مركز الثقل في الأنا إلى المبادئ الكيفية الكلية ، فكأنما أضفى الأنا كل هذه الصفات على كائن آخر ، ولاختفت حين ذاك وحدة الذات وتاريخها الحي ، ولم تعد الذاكرة حافظة للشخصية .
 وهنا يكمن زيف الفلسفة المثالية عن القيم وعن الوجود المثالي .

الإنسان هو الكائن الذي يتجاوز ويعلو على نفسه . وتحقيق الشخصية للإنسان هو هذا العلو المستمر على الذات . فالإنسان يتزع دائماً إلى الخروج من دائرة الذاتية المغلقة ، وهذه الحركة تم دائماً في اتجاهين

مختلفين متعارضين . فقد يتخذ الخروج من الشخصية طريق الإحالة الموضوعية Objectivization وهذا الطريق يؤدي إلى المجتمع بقوانين إلزامه الكلية . وفيه تتعرض الطبيعة الإنسانية للاغتراب والضيق في عالم الموضوعات ، وينتهي الأمر بالأمر ألا تعثر الشخصية على نفسها . أما الطريق الآخر للخروج من الذاتية فيكون من خلال عملية العلو ، ويكون بالعبور إلى ما يتجاوز الذات Transsubjective لا إلى ما هو موضوعي . وهذا السبيل يمتد في أعماق الوجود ، ويتم فيه ذلك الالتقاء الوجودي بالله وبالأخرين ، وبالوجود الباطني للعالم . وليس هو سبيل الاتصال الموضوعي ، بل سبيل التواصل الوجودي . ولا تبلغ الشخصية تحقها الكامل إلا في هذا السبيل .

سمات الشخصية :

ولا بد من إدراك هذا المعنى جيداً لكي نفهم العلاقة بين الشخصية وبين القيم العالية على الشخصية Superpersonal ، فالعلاقة بين الشخصية وبين القيم العالية عليها إما أن يتم في مجال الإحالة إلى الموضوعية ؛ وهنا تنشأ في يسر عبودية الإنسان ، أو يتم في المجال الوجودي ، بعملية صعود وعلو ، وهنا تتولد الحياة مع الحرية . فالإحالة الموضوعية لا يمكن أن تكون تصاعداً وعلواً ، إذ فيها يجد الإنسان نفسه في قبضة الحتمية ، وتحت سيطرة اللا شخص . أما في العلو ، فيجد

الإنسان نفسه في مجال الحرية ، والتقاء الإنسان بما يتجاوزه يكون له طابع شخصي ، وما هو عال على الشخصية لا يسحق الشخصية . وهذا تمييز أساسي . فن سمات الشخصية أنها لا تكبت ذاتها ولا تكفي بذاتها في الوقت نفسه . ثمة شيء آخر ضروري لوجودها ، شيء أعلى منها ، وبغير هذا يكون الشعور بالاختلاف والتميز والتغاير مستحيلا . بيد أن علاقة الشخصية بالآخر ، حتى في أعلى مستوياته ، ليست هي علاقة الجزء بالكل ، بل إن الشخصية تظل في هذه العلاقة متكاملة ، ذلك لأن علاقة الجزء بالكل علاقة رياضية ، كما أن علاقة العضو بالجهاز العضوي علاقة بيولوجية . وعلى ذلك فإن العلو لا يعني أن الشخصية قد أصبحت خاضعة لكل أيا كان ، وإنما العلو عملية إيجابية دينامية ، هي تجربة الإنسان الباطنة ، التي يجتاز فيها كوارث وأزمات ، ويعبر فيها هوات وفجوات ، ويعاني فيها نكسات وانكسرات ، ولكنه في كل هذا يزداد ثراء من الداخل لا من الخارج . فالعلو بالمعنى الوجودي هو الحرية ، كما أنه يفترض الحرية .. هو تحرر الإنسان من عبوديته لنفسه . غير أن الحرية بهذا المعنى ليست أمراً يسيراً ، ولكنها أمر شاقٍ عسير ، يتم من خلال التناقض الفاجع .

ومشكلة الشخصية تختلف تماماً عن المشكلة المألوفة في الفلسفة ، ألا وهي علاقة الروح بالجسد . فالشخصية ليست هي بكل تأكيد الروح متميزة عن الجسد الذي يربط الإنسان بحياة الطبيعة . الشخصية هي

صورة الإنسان بأكملها ، والتي يسود فيها المبدأ الروحي على كل قوى الإنسان جسداً ونفساً . ووحدة الشخصية شيء تخلقه الروح . أما الجسد فيتمى إلى صورة الإنسان ، وتلك الثنائية القديمة بين النفس والجسم التي تعددت إلينا من ديكرت صورة زائفة باطلة . فمثل هذه الثنائية لا وجود لها . وحياة النفس تشيع في حياة الجسد كلها ، كما أن الحياة الجسدية تؤثر على حياة النفس . فهناك وحدة حيوية بين النفس والجسم في الإنسان . أما الثنائية الحقيقية فلا توجد بين النفس والجسم ، وإنما بين الروح والطبيعة ، بين الحرية والضرورة . والشخصية هي انتصار الروح على الطبيعة ، والحرية على الضرورة .

الشخصية بين الفلاسفة

ويقف برديائف وقفة قصيرة مع تاريخ المشكلة فيقول : إن الفلسفة اليونانية لم تكون فكرة واضحة عن الشخصية ، وإنما ظهرت لمحات من الفهم في الفلسفة الرواقية . وكان هذا سبباً في ظهور صعوبات كبيرة لدى آباء الكنيسة في عرض العقيدة المسيحية في ثوب فلسفي ، ذلك أن فكر هؤلاء الآباء كان يجول داخل مقولات الفكر اليوناني وتصوراتهم . ومع ذلك فقد كان لا مناص من التعبير عن شيء جديد ، عن تجربة روحية جديدة ، لم يعرفها أفلاطون أو أرسطو أو أفلوطين . ويمكن القول بوجه عام أن إدراك الله بوصفه شخصية قد سبق إدراك الإنسان بوصفه كذلك . وكانت كلمة *Persona* تعني « القناع » باللغة اللاتينية ، أي الدور الذي يقوم به ممثل على المسرح ، ولكنها فقدت على مر العصور معناها المسرحي وانتقلت من الاسكلايين عن طريق الفيلسوف بويتيوس *Boetius* الذي عرف الشخصية بأنها الموجود الفردي المتعلق ، وكانت مشكلة الشخصية من المشكلات المعقدة في الفلسفة الاسكلائية ، فقد ربطت التوماوية (فلسفة القديس توما الأكويني وأتباعه) بين الفردية وبين المادة : فالمادة - لا الصورة - هي التي تعطى الفردية ، أما الصورة فهي كلية . بيد أن الفلسفة التوماوية توصلت إلى

تلك التفرقة العامة الهامة بين الشخصية والفرد . وتتألف الحقيقة الجوهرية للشخصية عند « ليبنتس » في الوعي بالذات ، ومعنى ذلك أن صورة الشخصية ترتبط بالوعي . أما « كانت » فقد أحدث تغييراً هاماً في فهم الشخصية ، فقد انتقل من التصور العقلي للشخصية إلى التصور الأخلاقي . فالشخصية ترتبط بالتححرر من حتمية الطبيعة ، وهي مستقلة عن آلية (ميكانيزم) الطبيعة . ولهذا السبب ليست الشخصية ظاهرة بين الظواهر ، إنما الشخصية غاية في ذاتها ، وليست وسيلة لأية غاية ، فهي توجد من خلال نفسها . ومع ذلك فإن نظرية « كانت » في الشخصية ليست نزعاً شخصانية حقيقة ، لأن قيمة الشخصية تتحدد فيها بطبيعتها الأخلاقية العقلية التي تندرج تحت مقولة الكلي .

وعند ماكس شترنر نجد أول نظرية حقيقية في الشخصية ، على الرغم من بطلان فلسفته ككل - وإن تكن هذه النظرية معروضة في صورة مشوهة . فهنا يظهر دياكتيك التوكيد الذاتي للأنا . فالواحد المتفرد عنده لا يمكن أن يكون هو الشخصية ، وذلك لأن الشخصية تختفي في لانتهاى وكيد الذاتى ، في عدم استعدادها لمعرفة الآخر ، وعجزها عن مواصلة العلو إلى أقصى مداه . ولكن ثمة لحظة من الحق في هذا « الواحد المتفرد » ، ذلك لأن الشخصية كون ، كون مصغر « ميكروكوسموس » والعالم كله ملك لها ، وينتمى إليها بمعنى من المعانى . ويعرف شيلر Scheler الشخصية بأنها وحدة التجربة ، وبأنها الوحدة

الوجودية لأفعال متباينة . وهنا نجد ربطاً هاماً بين الشخصية والفعل . ولكن ينبغي الاعتراف ، وفي هذا ما يتعارض مع شيلر - أن الشخصية تفترض وجود الشخصيات الأخرى ، والخروج للالتقاء بهم . وفيلسوف روسي هو نيسمييلوف Nyesmyelov أفكار قيمة عن الإنسان ، إذ لا يوجد في نظره غير تناقض واحد في العالم ، وغير لغز واحد فحسب ، هو لغز الشخصية الإنسانية . ففي الشخصية تنعكس صورة الوجود اللا مشروط ، وفي الوقت نفسه توضع الشخصية في ظروف الوجود المحدد . وهذا تناقض بين ما ينبغي أن تكون عليه الشخصية الإنسانية ، وظروف وجودها على الأرض . ويعبر نيسمييلوف عن التناقض الذي يتسم به الوجود الإنساني على هذا النحو : الإنسان شيء في العالم الفزيائي ، يحمل بين جوانحه صورة الله . بيد أن الشخصية في الإنسان ليست شيئاً في العالم الفزيائي . والفلسفة الحيوية التي أثرت تأثيراً كبيراً في الفكر المعاصر ، التي لها نظريتها الخاصة عن الإنسان ، لا تحبذ مبدأ الشخصية ، فهي مضادة للترعة الشخصية ، إذ تؤدي إلى تدوير الشخصية الإنسانية في العملية الكونية والاجتماعية .

مقولة الفرد :

والحق أننا لكي نفهم الشخصية حق فهمها ، يجب أن نضع تلك التفرقة الهامة بين الشخصية والفرد . وهي تفرقة يلح عليها أصحاب

التزعة التومارية من الفرنسيين ، وإن يكن الأساس الفلسفي الذي يقيمون عليه تفرقتهم مختلفاً عن الأساس الذي يقيم عليه برديانف نظريته . فالفرد مقولة من مقولات التزعة الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية ، والفرد غير قابل للانقسام بالنسبة لكل معين ، فهو ذرة . وهو لا يستطيع أن يكون عضواً في نوع أو جماعة أو حتى في الكون ككل فحسب ، بل إنه لا يمكن التفكير فيه أو تصوره إلا بوصفه جزءاً من كل ، وخارج هذا الكل لا يمكن أن يسمى فرداً .

ويتميز الفرد بأنه جزء تابع لكل من ناحية ، وبأنه جزء يؤكد ذاته بوصفه « أنا » من ناحية أخرى . ومن ثم فإن الفردية - المشتقة من كلمة فرد - لا تعني بالتأكيد أنها مستقلة في علاقتها بالكل ، أي في علاقتها بالعملية الكونية البيولوجية والاجتماعية ، وإنما لا تعني إلا انزعال الجزء التابع في ثمرة الضعيف على الكل . فالفرد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعالم المادي ، وقد تولد عن العملية الجنسية ، من أب وأم ، فهو من أصل بيولوجي تحدده الوراثة العائلية ، وكذلك الوراثة الاجتماعية ، فلا وجود لفرد بغير أسرة ، أو أسرة بغير فرد . والفرد موجود داخل مقولات تميز بين ما ينتمي إلى النوع وما ينتمي إلى الفرد . فمن المؤكد أن الإنسان فرد ولكنه ليس فرداً فحسب ، إنه شخصية أيضاً . وفكرة الإنسان ورسالته في هذا العالم مرتبطان بشخصيته . وهنا يتغير كل شيء ، فليست الشخصية مقولة طبيعية ، ولكنها مقولة روحية ، وليست هي

مالا ينقسم ، أو ذرة في علاقتها بأي كل منها كان ، سواء كان كونياً أو عائلياً أو اجتماعياً . الشخصية هي الحرية وهي استقلال الفرد في علاقته بالطبيعة والمجتمع والدولة . وليست الشخصية مجرد توكيد أناي للذات ، بل هي عكس ذلك تماماً ، فهي لا تعنى - شأنها في ذلك شأن النزعة الفردية - انعزالا متمركزاً على الذات *Egocentric isolation* الشخصية في الإنسان هي استقلاله في العالم المادى ، الذى هو المادة لعمل الروح . فالشخصية لا تولد من أسرة ، ومن عملية كونية ، وإنما تصدر عن الله ، وتعلن ظهورها من عالم آخر . وتشهد بهذا أنها نقطة تقاطع عالمين ، وأن فيها ينشب الصراع بين الروح والطبيعة ، بين الحرية والضرورة ، بين الاستقلال والتبعية .

وكل ما هو شخصى في الإنسان يتنافى مع أى نوع من أنواع الآلية *Automatism* ، تلك الآلية التى تلعب دوراً كبيراً في الحياة الإنسانية ، سواء كانت نفسية أو اجتماعية . ولا يوجد رجلاً في الإنسان الواحد ، بل الرجل الواحد بعينه يكون فرداً ويكون شخصية ، فليسا هما كائنين مختلفين ، وإنما نوعان من الكيفية ، أو هما قوتان مختلفتان في الإنسان . ويقول بيغي *Péguy* إن الفرد هو البورجوازي في الإنسان الذى ينبغى الانتصار عليه . والإنسان - بوصفه فرداً - يعانى تجربة الانعزال ، والانعزال المتمركز على الذات ، ومن واجبه أن يشن صراعاً من أجل البقاء ، مدافعاً عن نفسه ضد الأخطار المترتبة به . وهو يشق طريقه

خلال الصعوبات التي تعترضه بالتكيف مع المجتمع والامثال لتعاليمه .
 أما الإنسان بوصفه شخصية - وهو هو نفس الإنسان - فإنه يتغلب على
 الانحصار المتمركز على الذات ، ويكشف عن كون كانت تنطوي عليه
 نفسه ، ولكنه يصر على الاستقلال والاحتفاظ بكرامته في صلته بالكون
 المحيط به .

نستطيع أن نقول بمعنى آخر إن للشخصية درجة من الفردية أعلى
 رتبة من الفرد . وكثيراً ما تشير كلمة فرد إلى اللاعقل في مضاد المشترك
 والعقلي والمعياري . وبهذا المعنى تكون الشخصية لا عقلية ، ويكون
 الفرد أكثر خضوعاً للقانون الملزم ، مادام هو أكثر تحديداً . ومن الطريف
 أن نلاحظ أنه في تاريخ الكشف عن معنى الشخصية ، ذهب
 الرومانسيون إلى التفرقة بين الفردية والشخصية بالمعنى الذي ذهبنا إليه في
 هذه التفرقة . وكان الرومانسيون أكثر وضوحاً في تحديد الفردية منهم في
 التعبير عن الشخصية ، وكان للفردية طابع حيوي أكثر منه روحياً ، ولم
 يكن ثمة ما يشير إلى انحصار الروح والحرية . كما نلمس انعكاساً لتفكك
 عميق والمحلل للشخصية في الرواية المعاصرة ، عند بروست وآندريه
 بيلي Andrei Byely . فالوحدة الباطنة والتكامل كامنان في
 الشخصية ، على حين أن الفرد يمكن أن تمزقه قوى العالم شر ممزق
 والشخص لا يمكن أن يكون مواطناً كاملاً للعالم وللدولة ، لأنه مواطن
 في ملكوت الله . ولهذا السبب كانت الشخصية عنصراً ثورياً بالمعنى

العميق لهذه الكلمة . وهذا يرتبط ببلوره بحقيقة أن الإنسان كائن لا ينتمى إلى عالم واحد ، بل إلى عالمين . ومن ثم فإن النزعة الشخصية فلسفة ثنائية (Daulistic) ، وليست واحدة Monistic .

وبفترض وجود الشخصية وجود قيم فائقة على الشخصية Superpersonal . فلا وجود للشخصية الإنسانية إن لم يوجد وجود أعلى منها ، أو إن لم يكن هناك عالم أعلى منها ترتفع إليه . وهنا تقرب من أصعب مشكلات الفلسفة الشخصية ، وهذه الصعوبة ترتبط بعادات الفكر التي تنشأ عن الطريقة الزائفة لوضع مشكلة النزعة الاسمية والنزعة الواقعية ، لها هي علاقة الشخصية بعالم الموضوعات ؟

الواقع أن الكلى لا يسبق الأشياء Ante rem (وهذه هي الواقعية الأفلاطونية التي تتساوى مع المثالية) كما أنها لا تأتي بعد الأشياء Post rem (النزعة الاسمية التجريبية) ، ولكنها في الأشياء in rebus . وهذا يعنى بالنسبة للمشكلة التي نحن بصددنا الآن أن الكلى يوجد فيها هو فردى ، أعنى في الشخصية ، لا بوصفه مستمداً من التجربة الكلية ، ولكن بوصفه كيقاً أولياً . فالكلى لا يقوم في مجال مثالى فائق على الشخص ، ولكن في الشخصية التي تنتمى للمستوى الوجودى . والكلى وكذلك القيم الفائقة على الشخصية لا تنسب إلى عالم الموضوعات ، بل إلى عالم الذوات . وليس من شك أن الإحالة الموضوعية للقيم الكلية تمهد الطريق لعبودية الإنسان . فن الضرورى إذن

أن يقال مثلاً إن الكون والجنس البشرى والمجتمع في الشخصية لا العكس . والكلى ليس هو المشترك ، كما أنه ليس المجرد ، ولكنه العيني ، إنه امتلاء . وهو أقل ما يكون اشتراكاً من حيث إنه ليس وجوداً مستقلاً ، وإنما لا يوجد إلا في كائنات مفردة ، في الأشياء *in rebus* وفقاً للمصطلح القديم . وليس الفرد جزءاً من الكلى ، ولهذا كان التعارض بين الكلى والفرد تعارضاً خاطئاً . فليست الشخصية شيئاً جزئياً خاصاً يتعارض مع الكلى ، بل الأولى أن يقال في كثير من الحلق إن الشخصية واحدة من الكليات . وقد حاول لبيتس أن يتغلب على التراع القائم بين الواقعيين والاسميين ، فقال إن الكلى المتجسد في الفرد يتجاوز التضاد بين الكلى والفردى . وما الكلى إلا مشروع ، محاولة تبذلها الذات ، لا حقيقة واقعة في الموضوع . فلا وجود لعالم موضوعى من الأفكار . بيد أن هذا لا يعنى بكل تأكيد أن الكلى وأن الأفكار والقيم الكلية ليست إلا ذاتية بالمعنى القديم لهذه الكلمة ، وإنما كل ما نعنيه هو أن الإحالة الموضوعية وتجسيد الأفكار الكلية وسيلة زائفة للتغلب على الذاتية . وليست هذه الوسيلة صعوداً أو علواً بالمعنى الصادق لهذه الكلمة .

وعلى هذا النحو نفسه نكون مخطئين إذ قلنا إن الله كلى ، أو إن الله فرد ، ذلك أن التميز بين الكلى والفرد يكمن في مجال الإحالة الموضوعية ، على حين أنه لا ينبغى التفكير في الله إلا في المجال الوجودى ، في تجربة

العلو والصعود . فليست العلاقة بين الإنسان والله هي علاقة العلة بالمعلول ، أو علاقة الجزئى بالكلى ، أو علاقة الوسيلة بالغاية . فهذه العلاقة بين الله والإنسان لا تماثل شيئاً في هذا العالم . فالإله لا يوجد كواقع موضوعى أرى أنه ضرورى بالنسبة لى ، أو كإحالة موضوعية لفكرة كلية ، وإنما يوجد كاتصال وجودى ولقاء ، كعملية علو ، وفي هذا اللقاء يكون الله شخصية . وهكذا تحسم مشكلة العلاقة بين الشخصية وبين القيم الفائقة عليها على نحو مختلف تمام الاختلاف .

آفاق الشخصية :

والشخصية لا تستطيع العلو ، ولا تستطيع أن تحقق نفسها ، وتحقق اكتمال حياتها ، إلا إذا وجدت القيم الفائقة على الشخصية ، وإلا إذا كان الله موجوداً ، وكان ثمة مستوى إلهى للحياة . والفكرة الإنسانية القائلة في هذا الصدد بأن الشخصية الإنسانية هي الغائية الأسمى ، والتي تنكر وجود الله ، وتزعم أن الإنسان نفسه هو الله ، فكرة سخيفة ، فهي لا تسمو بالإنسان ، بل تحط من شأنه . والواقع أن فكرة الشخصية بالمعنى الذى نذهب إليه تعد مفارقة للفكر العقلى وتسم بالتناقض الظاهرى Paradox ، فهي تضع الشخص إلى جوار الفائق على الشخصى ، والمتناهى إلى جانب اللامتناهى ، والثابت بمحاذاة المتغير ، والحرية في مواجهة القدر .

وكما أن الشخصية ليست جزءاً من العالم وإنما متضاييف معه ،
فكذلك هي متضاييف مع الله . الشخصية لا تسمح إلا بعلاقة
التضاييف ، واللقاء والتواصل . ولا يريد الله أن يقهر الإنسان ، ولكنه
يريد شخصية تستجيب لئلائه ، ويكون تواصل الحب معها ممكناً .
ولكل شخصية عالمها الخاص ، والشخصية الإنسانية هي كل شيء
بالقوة ، هي فكر العالم كله بالقوة ، وتاريخ العالم كله بالقوة . وكل ما
حدث في هذا العالم يمس شخصيتي ، غير أن هذه الشخصية لا يتحقق
في الواقع إلا جزء ضئيل منها ، والشطر الأكبر منها يظل في حالة سبات
 واحتجاب . وفي الأعماق التي تحتجب وتتوارى عن وعيي ، أغوص في
محيط الحياة الصاخب . وعندما أقوم بإخراج المضمون الكلي إلى حيز
الواقع ، وحين أكشف عنه في نفسي من خلال المعرفة والحب ، عقلياً
وعاطفياً ، لا أعود أبداً بمجرد وسيلة نجعل من هذا المضمون الكلي غاية
 لها . وثمة علاقة معقدة متناقضة بين وعيي وبين شخصيتي ، وفرديتي .
فالشخصية تشيد وعيها من أعماق النفس كقاعدة دفاعية ، أو كحد
فاصل يحول دون الامتزاج والدوبان ، ولكن من الممكن للوعي أن يحول
دون امتلاء شخصيتي بالمضمون الكلي ، وأن يعوق التواصل بالكون
كجكل . ولكن هناك في الوعي أيضاً ما يعلو على الفردي . فالوعي ينشأ في
العلاقة بين الأنا واللا أنا ، وهو يشير إلى خروج من الأنا إلى الأنت في
تواصل باطني . وقد يقوم في هذه الحالة بإحالة موضوعية فيمنع عملية .

العلو . فالوعى يتسم دائماً بالشقاء ، لأنه من اليسير أن يقع فريسة للوهم نتيجة لقصوره عن الفهم الصادق للعلاقة بين الشخصى والفائق على الشخصى . بل إن تركيب الوعى نفسه مهياً للسقوط في برائن العبودية . فن الضرورى إذن أن نضع نصب إعيننا دائماً الدور المزدوج للوعى فهو يغلق ويفتح في آن واحد .

الأناية والشخصية :

وتقوم التزعة الشخصية بنقل مركز ثقل الشخصية من قيمة المؤسسات الموضوعية كالمجتمع والأمة والدولة ، إلى قيمة الشخصية ، ولكنها تفهم الشخصية بمعنى يتعارض تعارضاً عميقاً مع الأناية . ذلك أن الأناية تدمر الشخصية . وانغلاق الذات وانحصارها المتمركز على نفسها ، والعجز عن الخروج عن دائرتها الضيقة هو الخطيئة الأولى ، الخطيئة التي تحول دون التحقيق الكامل لحياة الشخصية ، والتي تمنعها من أن تكون فعالة ذات تأثير . وربما كانت المرأة المصابة بالهستيريا مثلاً واضحاً على الأناية ، في افتنانها بنفسها ، وطريقتها الشاذة في إرجاع كل شيء إلى نفسها . ولكنها في هذا الافتتان والاهتمام بذاتها أبعد ما تكون عن الشخصية ، بل إن أنانيتها هذه معادية للشخصية إلى أقصى حد ، ومدمرة لها تماماً ، وإن تكن ذات فردية متميزة . فالشخصية تفترض مسبقاً الخروج من الذات إلى الآخر وإلى الآخرين . فهي تفتقر

إلى الهواء ، ولا تلبث أن تختنق إذا ظلت مغلقة على نفسها . بيد أن خروج الشخصية عن ذاتها لا يعنى فى الوقت نفسه بأى حال من الأحوال ، التخارج Exteriorization أو الإحالة الموضوعية Objectivization . الشخصية هى « أنا » و « أنت » ، « أنا » أخرى . غير أن « الأنت » التى تتجه إليها « الأنا » والتى تدخل معها فى تواصل ليست شيئاً أو موضوعاً ، إنها « أنا » أخرى ، شخصية أخرى . فلا مجال للحديث عن تواصل مع موضوع ، ولا يمكن أن يتم الاتصال بين ذات وموضوع ، ولا يمكن أن يتم بينها نوع من الالتزام المتبادل . الشخص يحتاج إلى شخص آخر ، بيد أن الآخر ليس خارجياً أجنياً ، ومن ثم فإن علاقة الشخص به لا تعنى التخارج بأية حال من الأحوال . والشخصية توجد فى سلسلة من العلاقات الخارجية مع الآخرين ، وفى أفعال من التواصل معهم . أما العلاقات الخارجية فتعنى الإحالة الموضوعية ، وأما التواصل فيتم على المستوى الوجودى . والعلاقات الخارجية التى تتم فى عالم الإحالة الموضوعية يمكن أن تندرج بوصفها تحديدياً ، ومن ثم فإنها لا تخرج الإنسان من العبودية . وأما التواصل ، فنظراً لأنه يتم فى العالم الوجودى ، فإنه ينتمى إلى عالم الحرية ، ويعنى التحرر من العبودية . وتشير الأثانية من جهة أخرى إلى عبودية مزدوجة للإنسان : عبودية لنفسه ، عبودية لذاته المتشددة ، وعبودية للعالم يمارس عليه القهر من الخارج . والإنسان المتمركز على ذاته عبد ، وموقفه

من كل ما ليس « أنا » موقف يتسم بالذل والعبودية . فهو لا يدرك إلا « اللا أنا » ، ولا معرفة لديه بـ « أنا » أخرى ، ولا يدرك « الأنت » ، ولا يعرف شيئاً عن حرية الخروج من « الأنا » . ويحدد الإنسان المتمركز على ذاته علاقته بالعالم وبالآخرين دائماً على نحو يتنافى مع الشخصية ، وهو مهياً لاعتناق وجهة نظر السلم الموضوعي للقيم . وثمة شيء ناقص في إنسانية مثل هذا الشخص المتمركز على ذاته ، فهو يعشق التجريدات التي يغذي بها أنانيته ، ولا يجب الأشخاص الذين هم من لحم ودم

الله والشخصية

ولكى نفهم الشخصية حق الفهم ، لابد أن نتذكر دائماً أن الشخصية لا تُعرف بعلاقتها بالمجتمع أو الكون ، أو بعلاقتها بالعالم الذي تستعبده الموضوعية ، وإنما تعرف أولاً وقبل كل شيء بعلاقتها بالله . ومن هذه العلاقة الباطنة المستترة الحميمة تستمد قوتها لتقيم علاقة حرة بينها وبين العالم وبين الآخرين . ويتوهم الفرد المتمركز على ذاته أنه حر في علاقته بالعالم الذي هو « لا أنا » بالنسبة إليه . ولكنه في واقع الأمر يتحدد تحديداً يتسم بالعبودية لعالم « اللا أنا » الذي يغلق عليه داخل نفسه . فالأنانية هي مظهر من مظاهر التحديد بواسطة العالم . وتصبح الشخصية الإنسانية عالماً قائماً بذاته حين لا تقوم بينها وبين العالم علاقة تمركز على الذات . وصفة « الكلية » Universality التي تتصف بها الشخصية والتي تستوعب في ذاتها عالم الموضوعات ليست توكيداً للذات متمركزة على نفسها ، وإنما هي انفتاح على الحب .

والترعة الإنسانية لحظة ديالكينكية في الكشف عن الشخصية الإنسانية . والواقع أن الخطأ الذي تقع فيه الترعة الإنسانية ليس هو بكل تأكيد أنها تركز تركيزاً شديداً على الإنسان ، وإنما لأنها مشغولة عن حركة التقدم في الطريق المؤدية صوب الإنسانية الإلهية ، كما يؤكد ذلك

الفكر الديني الروسي في كثير من الأحيان ، ولكن نخطؤها الأكبر هو أنها لم تركز تركيزاً كافياً على الإنسان ، وأنها لم تصل بتوكيدها على الإنسان إلى آخر الشوط ، وأنها لم تضمن للإنسان استقلاله عن العالم ، وأنها كانت تنطوي على خطر استعباد الإنسان للمجتمع والطبيعة . فصورة الشخصية الإنسانية ليست صورة إنسانية فحسب ، إنها صورة الإله أيضاً . وفي هذه الحقيقة تكمن كل أغاز الإنسان وأسراره ، إنه سر الإنسانية - الإلهية ، المفارقة التي لا يمكن التعبير عنها في صيغة عقلانية . فالشخصية لا تكون شخصية إنسانية إلا إذا كانت شخصية - إنسانية - إلهية . وحرية الشخصية الإنسانية واستقلالها عن عالم الموضوعات هو إنسانيتها - الإلهية . وهذا معناه أن الشخصية لا تصاغ بواسطة عالم الموضوعات ، وإنما بواسطة الذاتية التي تحتجب فيها قوة صورة الإله ، أو بتعبير آخر العنصر الإلهي في الإنسان . وكما سبق أن قلنا : للإنسان طبيعتان ، وفيه يتقاطع عالمان . فهو يحمل بين جوانحه صورة الإنسان التي لا تتحقق تحققاً كاملاً إلا إذا تحقق الجانب الإلهي فيه .

هذه الحقيقة هي حصيلة تجربة وجودية روحية ، لا يمكن التعبير عنها بالتصورات العقلية ، وإنما بالرموز فحسب . فقولنا إن الإنسان ينطوي في ذاته على نفحة إلهية ولا يصبح إنساناً إلا بتحقيق الجانب الإلهي فيه - هذا القول لا يمكن إلا أن يكون رمزاً . فالإنسانية - الإلهية

مفارقة ، لا يستطيع الفكر العقلي هضمها والاعتراف بها ، بل الترفة الإنسانية نفسها لم ترتفع قط إلى درجة نستطيع معها تصور هذه الحقيقة المفارقة عن الإنسانية الإلهية . فالتعبير عن هذا السري يفترض تجربة العلو والتجاوز للذات ، والسقوط في الهوة ، والخلاص منها . والإلهي هو ما يعلو على الإنسان ، وهو ما يتحد اتحاداً يتسم بالاستمرار والغموض مع الإنساني في الصورة الإلهية - الإنسانية . ولهذا السبب وحده يصبح ظهور الشخصية في عالم لا يستعبد لها - ممكناً . فالشخصية إنسانية ، ولكنها تتجاوز الإنساني التابع للعالم . وهي ساحة الصراع بين الله والعالم . والإنسان نفسه رمز ، لأن فيه علامة على شيء مختلف ، كما أنه علامة على شيء مختلف . وبهذا وحده ترتبط إمكانية تحرير الإنسان من العبودية . وهذا هو الأساس الديني لمذهب الشخصية ، ولا أقول الأساس اللاهوتي ، وإنما الديني ، وأعني به التجريبي الروحي ، أو الوجودي ، فليست الحقيقة الإنسانية الإلهية صيغة عقائدية ، وليست مذهباً لاهوتياً ، ولكنها حقيقة تجريبية ، وتعبير عن تجربة روحية . وهذه الحقيقة نفسها عن ازدواج الطبيعة الإنسانية وتكاملها في آن معاً تنعكس في علاقة الشخصية الإنسانية بالمجتمع وبالتاريخ ، ولكنها هنا علاقة مقلوبة ، إن صح هذا التعبير . فالشخصية مستقلة عن تحديد المجتمع لها ، ذلك لأن لها عالمها الخاص ، وهي استثناء ، وكائن فريد لا يتكرر . ولكنها في الوقت نفسه اجتماعية ، وفيها آثار ورواسب من

اللاوعي الجماعي ، فهو مخرج الإنسان من العزلة . والشخصية تنتسب إلى التاريخ ، وتحقق نفسها في المجتمع والتاريخ . الشخصية تواصلية ، وهي تفترض مسبقاً التواصل مع الآخرين ، والتعاطف معهم . والتناقض العميق ، والصعوبة التي تعترض الحياة الإنسانية مرجعها إلى هذه السمة الجماعية التواصلية . والعبودية تقف للإنسان بالمرصاد ، وهو بسبيله إلى تحقيق ذاته ، ولهذا ينبغي على الإنسان دائماً أن يثوب ويثوب إلى الجانب الإلهي فيه .

وحق الحياة الدينية للإنسان تتعرض لهذا الخطر ، خطر الإحالة الموضوعية . فمن الممكن أن يُقال بمعنى ما إن الدين اجتماعي بوجه عام ، أعنى أنه صلة اجتماعية . بيد أن هذا الطابع الاجتماعي للدين يشوه الروح ، ويُخضع اللامتأهي للمتأهي ، ويجعل النسبي مطلقاً ، ويبعد الإنسان عن منابع الوعي ، وعن معاناة التجربة الروحية ، ففي عالم الباطن ، تكشف الشخصية صورتها من خلال كشفها عن الجانب الإلهي فيها ، من خلال نفاذ الإلهي في الإنساني . وفي العالم الخارجي يشير الكشف عن الحقيقة إلى تبعية العالم والمجتمع والتاريخ لصورة الشخصية ، إنه نفاذ الشخصية في العالم الموضوعي ، وهذه هي النزعة الشخصانية . فمن الداخل ، تمنح الشخصية القوة وتحرر بواسطة إنسانيتها الإلهية . وفي الخارج ، يتحول العالم والتاريخ والمجتمع ويتحرر عن طريق الإنسانية ، ومن خلال تفوق الشخصية . والتواصلية تتقل

من الداخل إلى الخارج ، ولكن هذه الحركة ليست إحالة موضوعية ، لأنها لا تخضع الشخصية للموضوعية . الشخصية ينبغي أن تكون إنسانية - إلهية ، على حين أن المجتمع ينبغي أن يكون إنسانياً . والحرية ليست حقاً من حقوق الإنسان ، فهذه نظرة سطحية ، إنما حرية الشخصية واجب ، إنها إنجاز رسالة ، وتحقيق الفكرة الإلهية للإنسان ، وتلبية للتداء الإلهي . ينبغي على الإنسان أن يكون حراً ، ولا عذر له في أن يكون عبداً ، لأن من واجبه أن يكون إنساناً . هذه هي إرادة الله . ومن الناس من يعشق العبودية ، ويقدم من الحجج والذرائع ما يجعل من الحرية حقاً ، وهذه دعوى تتخذ أشكالاً مختلفة حيناً بعد حين . فالعبودية هي التي يريدونها الإنسان أن تكون حقاً ، لا الحرية . فلا ينبغي إذن أن تكون الحرية ضمن إعلان حقوق الإنسان ، بل ينبغي أن تكون ضمن إعلان التزاماته ، وواجبه في أن يكون شخصية . فليس من حق الإنسان ولا من واجبه أن يرفض الشخصية . يستطيع الإنسان أن يرفض الحياة ، بل يجب عليه أحياناً أن يرفضها ، ولكن لا ينبغي أن يرفض الشخصية ، وكرامة الإنسان ، والحرية التي ترتبط بهذه الشخصية .

الشخصية والزهد :

والشخصية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوعي الرسالة . وعلى كل إنسان أن

يكون واعياً بهذه الرسالة ، وهي رسالة مستقلة عن المواهب الممنوحة له . فهي رسالة له صورة فردية لا تتكرر للاستجابة لنداء الله ، ولا استخدام مواهب المرء استخداماً خلاقاً . والشخصية التي هي في وعي نفسها تستمع إلى ذلك الصوت الداخلي وتطيعه هو وحده . فهي لا تدعن للأصوات الخارجية . وأعظم الرجال هم أولئك الذين استمعوا إلى الصوت الداخلي ، ورفضوا أن يسايروا العالم حيناً يسير . وترتبط الشخصية أيضاً بالزهد ، بل تفترض الزهد مسبقاً ، أعنى الرياضة الروحية ، وتركيز القوى الباطنة ، وانعقاد العزم ، ورفض الاستسلام لخليط القوى اللا شخصية ، سواء كانت داخل الإنسان أو في الكون المحيط به . وليس معنى هذا قبول الأشكال التقليدية للزهد ، فإن منها الكثير الذى يتنافى مع الدين ، بل منها ما هو ضار بالشخصية نفسها . فالزهد ينبغى أن يكون فى جوهره المحافظة على أشكال الشخصية ، على صورتها ، ومقاومة سطوة العالم التى تريد تمزيق الشخصية واستعبادها مقاومة إيجابية . الزهد هو كفاح الشخصية ضد العبودية ، فهو مقبول بهذا المعنى وحده . ولكن ، حين يتحول الزهد إلى عبودية ، وهذا ما حدث كثيراً فى أشكاله التاريخية ، فينبغى رفضه ومحاربه ، والدعوة إلى الزهد الحقيقى . وهذا الزهد الحقيقى ليس هو الخضوع والإذعان ، بل إنه رفض الشخصية للخضوع والإذعان ، فهو تحقيق رسالتها ، واستجابتها لنداء الله . والشخصية فى جوهرها ليست خاضعة أو مدعنة ، إنها

المقاومة ، والفعل الخلاق الذي لا ينكسر.. والزهد المرتبط بالشخصية هو المبدأ البطولي في الإنسان ، أما الزهد المستكين الدليل فهو مهانة ومسبة . والشخصية تفرض الزهد القادر على الاختيار والمقاومة ، مقاومة شهوات النفس وشهوات العالم .

القلق والخوف

ولا وجود للشخصية إذا لم يوجد المتعالى . فالشخصية تقف وجها لوجه إزاء المتعالى ، وفى تحقيقها لنفسها فإنها تعلق وتتجاوز ، ولهذا كان الشعور بالقلق ملازماً للشخصية من حيث هى كذلك ، أى من حيث أنها علو وتجاوز . فالإنسان يشعر بأنه كائن معلق فوق هوة ، وفى خروج الإنسان بوصفه شخصية عن تيار الوجود البدائى الجماعى - يبلغ هذا الشعور بالقلق أعلى درجاته من الحدة والشدة .

ولابد من التمييز بين القلق (Angst) والخوف (Furcht) . وقد قام كيركجورد بهذا خير قيام ، فهو يقول إن للخوف أسبابه وعمله ، فهو مرتبط بالخطر ، ويتجارب الحياة اليومية ، أما القلق فشعور آخر نعانيه لا فى وجه الأخطار اليومية ، وإنما فى مواجهة سر الوجود والعدم ، وعندما نقف إزاء هوة المتعالى ، وحيال المجهول . فالموت لا يثير شعور الخوف فحسب من حادثة تقع دائماً فى عالم كل يوم ، وإنما يثير القلق أيضاً فى مواجهة المتعالى . الخوف يرتبط بالهم ، وبالخشية من الألم وضربات القدر . والخوف يفشل فى أن يضع نصب أعيننا ذلك العالم المتعالى الأسفى ، فهو مرتبط بعالم أدنى ومستوى أدنى ، وهو مقيد بما هو

مجرى . أما القلق ، فيقع على شفا المتعالى ، حين يواجه الإنسان الأبدية ، وحين يلتقى هو والمصير وجهاً لوجه .

القلق والحنين :

والإنسان كائن لا يعانى الخوف والقلق وحدهما ، بل يشعر أيضاً بالحنين . والحنين أقرب إلى القلق منه إلى الخوف ، ولكنه يتميز بماهيته الخاصة . فنحن لا نشعر به حين نجتاز خطراً ما ، كما أنه لا يرتبط بالهم ، بل يعمل على التخفيف منه . الحنين يتجه إلى أعلى ، وهو علامة على طبيعة الإنسان الأسمى . وقد كتب على الإنسان أن يعانى فى حياته الشعور بالوحدة والاعتراب فى هذا العالم . وليس هناك ما هو أشد إيلاًماً للنفس من الشعور بالغرابة وبغربة كل شىء فى هذا العالم . وحين تتحرك الشخصية فى طريق نموها وتطورها ، فإنها تعانى هذه التجربة . وثمة شىء من المتعالى فى الشعور بالحنين ، وذلك بمعنى مزدوج ، فالشخصية تجتاز اختبارات التجربة بوصفها كائناً متعالياً غريباً فى هذا العالم ، وهى تجتاز الهوة التى تفصلها عن العالم الأسمى ، عن ذلك العالم الآخر الذى ينبغى أن يكون وطناً لها ومنزلاً . والحنين الحاد شىء يمكن أن نشعر به فى أسعد لحظات حياتنا . فهناك فى أعماق أعماق الإنسان يستقر الحنين إلى الحياة الإلهية ، إلى النقاء ، إلى الفردوس ، وأسعد لحظات الحياة لا يمكن أن تشبع هذا الحنين . ولهذا لا يمكن أن يكون للشخصية وجود إلا

ويصاحبه هذا الحنين ، لأن الحنين يؤذن بالقطيعة مع هذا العالم الذي ولد فيه الإنسان ، وباستحالة التكيف معه .

وتنسحق الشخصية في ذاتيتها اللامتناهية بين الموضوعي والمتعالى ، بين عملية الإحالة الموضوعية وعملية الصعود والعلو ، فالشخصية لا نستطيع أن نتصالح مع عالم الموضوعات اليومية الذي قذفت فيه . فنحن نجد الشخصية في تلك القطيعة وذلك الخصاص بين الذاتي والموضوعي . ومن الممكن أن تشر الشخصية بتضخم ذاتيتها دون أن تتقل بحركة العلو إلى عالم آخر ، وهذه هي المرحلة الرومانسية . فالحنين يشير دائماً إلى شيء ناقص ، ويتجه إلى اكتمال الحياة . وهناك حنين بطاغ معذب إلى الجنس . والجنس حنين ، وهذا الحنين لا يمكن التغلب عليه نهائياً في العالم اليومي الموضوعي ، لأن الاكتمال النهائي في هذا العالم أمر يستحيل بلوغه ، هذا الاكتمال الذي يتطلبه الخروج من ذاتية الجنس .

الشخصية والموت :

ويعانى الإنسان أشد أنواع القلق عندما يواجه الموت . وهناك حنين إلى الموت . والإنسان كائن يعيش في حالة احتضار ، احتضار في أثناء الحياة نفسها . ولا يكون الموت شيئاً فاجعاً إلا بالنسبة للشخصية ، فهذه المأساة لا وجود لها بالنسبة لكل ما هو لا شخصي . كل شيء فان في الطبيعة ، ولا محيد له عن الموت ، أما الشخصية فبخالدة ، هي الشيء

الوحيد الخالد في هذا الكون ، لأنها خلقت للخلود والأبدية . والموت هو المفارقة الكبرى في مصير الشخصية . فالشخصية لا يمكن أن تتحول إلى شيء ، وهذا التحول للإنسان إلى شيء نسميه الموت ، لا يمكن أن يمتد ليشمل الشخصية . الموت هو تجربة الشخصية في قطيعتها مع مصيرها ، إنه انقطاع في الاتصال مع العالم . الموت لا يضع نهاية للوجود الباطني للشخصية ، وإنما يضع نهاية لوجود العالم ، فلا فرق بين اختفائي عن العالم ، واختفاء العالم عني . ومأساة الموت هي قبل كل شيء مأساة الفراق . بيد أن الصلة بالموت مزدوجة ، فإن لها معنى إيجابياً للشخصية ، ذلك أن اكتمال حياة الشخصية لا يمكن أن يتم في هذه الحياة ، في هذا العالم الموضوعي ، ووجود الشخصية فيه وجود جزئي ناقص ، وتقدم الشخصية صوب اكتمال الأبدية يفترض الموت ، واجتياز الهوة . وعلى هذا ، لا يمكن أن نتحاشى الشعور بالحزن في وجود الشخصية ، كما لا نستطيع أن نتفادى القلق في مواجهة الأبدية المتعالية .

الشخصية والحب

والشخصية ترتبط بالحب . الشخصية هي الكائن الذي يجب ويكره ، الكائن الذي يعرف الحب (إيروس) Eros والبغض Anti eros . ولا وجود للشخصية دون عاطفة قوية ، كما لا توجد عبقرية بلا عاطفة شديدة . والحب هو السبيل إلى تحقيق الشخصية ، وهناك نوعان من الحب ، حب صاعد وحب هابط ، الحب الذي هو « إيروس » والحب الذي هو « شهوة » (Agape) . وكل منهما فطري في الشخصية ، وفي الصعود والهبوط تتحقق الشخصية . وقد كانت تعاليم أفلاطون تدور حول الحب الصاعد الذي هو « إيروس » . و « الإيروس » الأفلاطوني ، ابن الثراء والفقير ، هو صعود من عالم الحواس المتعدد إلى عالم المثل الواحد الفريد . وليس « الإيروس » هو حب كائن عيني ملموس ، وإنما هو حب الجمال والخير الأسمى ، والكمال الإلهي . حب « الإيروس » هو الجاذبية التي تحدثها الأعلى ، حركة إلى أعلى ، صعود ، هو اكتمال الموجود الناقص ، هو إثراء الكائن الفقير المعدم . وهذا العنصر هو العامل الحاسم في حب رجل أو امرأة ، ولكنه يمتزج بعناصر . فالجنس نقص وقصور ، وهو يثير فينا الحنين إلى الاكتمال ، وإلى حركة نحو الكمال والتمام لا نبلغ نهايتها أبداً .

ومأساة الحب أنه مرتبط بالصراع بين حب كائن عيني متجسد ينتمى إلى عالم الحس ، وحب الجمال الذى ينتمى إلى عالم المثل . فما من كائن حتى يمكن أن يناظر ما فى عالم المثل من جمال بالمعنى الأفلاطونى . ومن ثم ، فإن الحب بوصفه « إيروس » ، الحب بوصفه صعوداً ووجداً ، يجب أن يتحد بالحب بوصفه هبوطاً ، الحب بوصفه شفقة وتعاطفاً . والحب بوصفه « إيروس » موجود فى كل حب انتقائى Selective فهو فى حب الصديق ، وفى حب الوطن ، بل فى حب القيم المثالية . فى الفلسفة والفن . وهو موجود فى الحياة الدينية أيضاً . والحب الذى هو « إيروس » يقتضى التبادل ، أما الحب الذى هو شفقة فلا حاجة به إلى التبادل ، وفى هذا سرقوه « الإيروس » وراثته ، فهو يرى صورة « الآخر » ، صورة المحبوب فى الله ، بوصفه فكرة الإله عن الإنسان ، إنه يشهد جمال المحبوب ، أما الحب الذى هو عطف وشفقة فيرى « الآخر » مهجوراً من الله ، غارقاً فى ظلمة العالم ، فى العذاب والألم والقبح .

وللفيلسوف ما كس شيلر أفكار طريفة عن الفرق بين الحب المسيحى والحب الأفلاطونى ، بين الحب المتجه إلى شخصية محسوسة ، والحب المتجه نحو فكرة أو مثل أعلى . غير أننا نرى أن الأفلاطونية قد تغلغلت فى المسيحية . فشكلة الشخصية لم تنشأ بالنسبة للأفلاطونية و « الإيروس » الأفلاطونى ، ولكن المسيحية وضعت هذه المشكلة ، وإن يكن الفكر

المسيحي والطقوس المسيحية قد طمسا هذه المشكلة بتفسيرها
 اللا شخصي للحب ، سواء بوصفه « إيروس » أو بوصفه « إحصاناً »
 Caritas . فإن لا شخصية « الإيروس » الأفلاطوني قد انتقلت إلى
 التفسير اللا شخصي للإحصان المسيحي . بيد أن الكشف عن الطبيعة
 الجوهرية للحب يؤدي بالضرورة إلى تفسيره بوصفه حركة تتجه من
 شخصية إلى شخصية . أما « الإيروس » اللا شخصي فيتجه إلى الجمال
 والكمال بدلاً من أن يتجه إلى كائن ملموس ، وإلى شخصية لا تتكرر .
 والحب اللا شخصي الذي هو شفقة ، حب الإحصان ، يتجه إلى جار لا
 شخصي ، جار يتألم وفي حاجة إلى العون . هذه هي شريحة الحب التي
 نجدتها في العالم اللا شخصي الأعلى والعالم اللا شخصي الأدنى ، في عالم
 المثل اللا شخصي ، وفي عالم العذاب والظلمة . اللا شخصي أيضاً .
 أما الحب الذي يرتفع فوق عالم « المشترك » و « اللا شخصي » فهو
 الحب الذي يتجه إلى صورة الشخصية ، وهو تأكيد لهذه الصورة حتى
 الأبدية ، وتأكيد حتى الأبدية لتواصله مع هذه الصورة .

انتصار الشخصية

والوعي بالشخصية في مواجهة العالم يرتبط ارتباطاً عميقاً بوجود الشر. فالشخصية تكتسب القوة في مقاومتها لسلطان الشر في العالم الذي يتبلور دائماً في صورة اجتماعية. والشخصية اختيار، والاختيار صراع، ومقاومة لقوة العالم التي تنحو إلى استعباد الفرد. وتتشكل الشخصية في اصطدامها بالشر في نفسها وفي البيئة المحيطة بها. ومن مفارقات الشخصية أن الوعي الحاد بها يفترض وقوع الخطيئة والذنب. وانعدام الإحساس بالخطيئة والذنب والشر هو أيضاً انعدام الإحساس بالشخصية، وهو ذوبان للشخصية في المشترك والكوفي والاجتماعي. وارتباط الشر بالشخصية وبالخطيئة والذنب يؤدي إلى تشخيص الشر، وإلى خلق صورة لشخصية تكون تجسيداً كلياً للشر. ولكن هذا النوع من تجسيد الشر له جانبه المضاد في إضعاف الإحساس بالذنب الشخصي والمسئولية الشخصية. وهنا يكمن ما يكتنف المشكلة من تعقيد. وهذه المشكلة نفسها تكمن في موقف الفرد من الشر، فما من إنسان يمكن أن يكون تجسيداً وتشخيصاً للشر، لأن الشرفيه جزئي دائماً. ولهذا السبب لا يمكن أن تصدر حكماً نهائياً على أي إنسان. وهذا ما يضع أيضاً حدوداً على مبدأ العقوبة، فربما اقترف الإنسان جريمة، بيد أن الإنسان

في مجموع شخصيته لا يمكن أن يكون مجرماً . ولا ينبغي معاملته على أنه تجسيد للجريمة ، فإزال شخصية ، وما زال فيه الجانب الإلهي . ولهذا السبب فإن التزعة الشخصية تعارض معارضة جذرية وأساسية للحكم بالإعدام .

ولا يمكن أن تتحول الشخصية كلها إلى كائن اجتماعي فحسب ، فإن الإحالة الاجتماعية للإنسان لا يمكن أن تكون إلا جزئية ، ولا يمكن أن تمتد إلى أعماق الشخصية ، إلى ضميرها ، وإلى علاقتها بمنبع الحياة . والإحالة الاجتماعية التي تمتد إلى أعماق الوجود ، وإلى الحياة الروحية ، هي انتصار « للناس » وللروتين الاجتماعي . إنها طغيان المتوسط والمشارك على الفرد الشخصي . وعلى هذا ينبغي أن يقوم مبدأ الشخصية كمبدأ من مبادئ التنظيم ، بحيث لا يسمح بالإحالة الاجتماعية لوجود الإنسان الباطني .

إن سيادة الشخصية وانتصارها أمر مأساوي فاجع بالنسبة للإنسان ، ذلك لأنه يضم بين جوانحه اللا شخصي أيضاً ، وهذا اللا شخصي فيه يثور على هذه الحقيقة ، وهي أن تحقيق الشخصية لا يكون ممكناً إلا من خلال التناقض والتمزق . والإحالة الموضوعية هي مصدر العبودية ، فهي دائماً تنظم للسيطرة ، وهذا مما يتنافى مع كرامة الشخصية . وفي هذه الإحالة ، وفي التخارج ، وفي تشويه الطبيعة الإنسانية ، يقع الإنسان فريسة لإرادة القوة ، والمال ، والتعطش للملذات والمجد الخ ،

وهي كلها أشياء مدمرة للشخصية . وعلى العكس من ذلك ، تحقق الشخصية وجودها ومصيرها في المتناقضات ، وفي الجمع بين المتناهي واللامتناهي ، وبين النسبي والمطلق ، وبين الواحد والكثير ، وبين الحرية والضرورة ، وبين الباطن والظاهر . فليست هناك وحدة أو تطابق بين الباطن والظاهر ، بين الذاتي والموضوعي ، وإنما هناك افتقار فاجع في التجاوب وصراع ألم . بيد أن بلوغ الوحدة والكلية لا يتم في الموضوعية اللامتناهية ، وإنما في الذاتية اللامتناهية ، الذاتية التي تعلق على نفسها .

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	- رأى في الشخصية
٤	لغز الإنسان
٤	إزدواج متناقض
٩	- البناء الالهي المستمر للشخصية
١٣	- العقلانية والحرية
١٧	- الشخصية والمستقبل
١٨	تحقيق الشخصية
٢٠	سمات الشخصية
٢٣	- الشخصية بين الفلاسفة
٢٥	مقولة الفرد
٣١	آفاق الشخصية
٣٣	الأناية والشخصية
٣٧	- الله والشخصية
٤١	الشخصية والزهد
٤٥	- القلق والخوف
٤٦	القلق والحزن
٤٧	الشخصية والموت
٤٩	- الشخصية والحب
٥٣	- انتصار الشخصية

صدر من هذه السلسلة :

- | | |
|----------------------------|------------------------------------|
| توفيق الحكيم | ١ - طعام الفم والروح والعقل |
| د . فاروق الباز | ٢ - الفضاء ومستقبل الإنسان |
| المستشار على منصور | ٣ - شريعة الله وشريعة الإنسان |
| د . زكى نجيب محمود | ٤ - أسس التفكير العلمى |
| د . محمد رشاد الطويل | ٥ - عالم الحيوان |
| على أدهم . | ٦ - تاريخ التاريخ |
| د . توفيق الطويل | ٧ - الفلسفة فى مسارها التاريخى |
| أمينة الصاوى | ٨ - حواء وبناتها فى القرآن الكريم |
| د . محمد حسين الذهبى | ٩ - علم التفسير |
| د . عبد الغفار مكاوى | ١٠ - المسرح الملتحقى |
| د . أحمد سعيد الدمرداش | ١١ - تاريخ العلوم عند العرب |
| د . مصطفى الديوانى | ١٢ - خلال الأطفال |
| فتحى الإييارى | ١٣ - الصهيونية |
| د . نيلة إبراهيم سالم | ١٤ - البطولة فى القصص الشعبى |
| د . محمد عبد الهادى | ١٤م - عيون تكشف المجهول |
| د . أحمد حمدى محمود | ١٥ - الحضارة |
| سلوى العنانى | ١٦ - أيامى على افرا |
| د . محمد بدیع شريف | ١٧ - المساواة فى الإسلام |
| د . سيد حامد النجاج | ١٨ - القصة القصيرة |
| د . مصطفى عبد العزيز مصطفى | ١٩ - عالم النبات |
| أنور أحمد | ٢٠ - العدالة الاجتماعية فى الإسلام |
| صلاح أبو سيف | ٢١ - السينما فن |

- ٢٢ - فواصل الدول أحمد عبد المجيد
 ٢٣ - الأدب العربي وتاريخه د. أحمد الحوق
 ٢٤ - الكتاب والمكبة والقارئ حس رشاد
 ٢٥ - الصحة النفسية د. سلوى الملا
 ٢٦ - طبيعة الدراما د. إبراهيم حمادة
 ٢٧ - الحضارة الإسلامية د. على حسنى الخربوطلى
 ٢٨ - علم الاجتماع د. فاروق محمد العادلى
 ٢٨م- روح مصر فى قصص السباعى حسن محسب
 ٢٩ - القصة فى الشعر العربى لروت أباطة
 ٣٠ - العارة الإسلامية د. كمال الدين سامح
 ٣١ - الغلاف الجوى د. يوسف عبد المجيد فايد
 ٣١م- محمود حسن إسماعيل د. عبد العزيز الدسوقى
 ٣٢ - التاريخ عند المسلمين محمد عبد الغنى حسن
 ٣٣ - الخلق الفنى د. مصرى عبد الحميد حنوره
 ٣٤ - البوصيرى المادح الأعظم للرسول عبد العال الحامصى
 ٣٥ - التراث العربى عبد السلام هارون
 ٣٦ - العودة إلى الإيمان أحمد حسن الباقورى
 ٣٧ - الصحافة مهنة ورسالة د. خليل صابات
 ٣٨ - يوميات طبيب فى الأرياف د. الدمرداش أحمد
 ٣٩ - السلام وجائزة السلام عثمان نويه
 ٤٠ - الشريعة الإسلامية المستشار عبد الخليم الجندى
 ٤١ - ثقافة الطفل العربى جمال أبو رية
 ٤٢ - اللغة الفارسية د. محمد نور الدين عبد المنعم
 ٤٣ - حضارتنا وحضارتهم د. عبد المنعم النمر

- ٤٤ - الأمثال الشعبية
 ٤٥ - التعريف بالاقتصاد
 ٤٦ - المستوطنات اليهودية
 ٤٧ - بدر والفتح
 ٤٨ - الفلسفة والحقيقة
 ٤٩ - الطب النفسي
 ٥٠ - كيف نفهم اليهود
 ٥١ - الفن الإذاعي
 ٥٢ - الكتابة العربية
 ٥٣ - مرض السكر
 ٥٤ - شوق أمير الشعراء ... لماذا ؟
 ٥٥ - الفلسفة الإسلامية
 ٥٦ - الشعر في المعركة
 ٥٧ - طه حسين يتكلم
 ٥٨ - الإعلام ولغة الحضارة
 ٥٩ - تاجور شاعر الحب والحكمة
 ٦٠ - كوكب الأرض
 ٦١ - السير الشعبية
 ٦٢ - التصوف عند الفرس
 ٦٣ - الرومانسية في الأدب الفارسي
 ٦٤ - القرآن وحياتنا الثالثة
 ٦٥ - التصويرية في الفن التشكيلي
 ٦٦ - ميراث الفقراء
 ٦٧ - المهارة والبيئة
- محمد قنديل البقل
 د . حسين عمر
 حسن فؤاد
 محمد فرج
 د . عبد الحلیم محمود
 د . عادل صادق
 د . حسين مؤنس
 د . فوزية فهم
 محمد شوق أمين
 د . أحمد غريب
 فتحى سعيد
 د . أحمد عاطف العراق
 حسن النجار
 سامح كرم
 د . عبد العزيز شرف
 علي شلش
 د . فرخنده حسن
 فاروق خورشيد
 د . إبراهيم شتا
 د . أمال فريد
 محمود بن الشريف
 د . نعيم عطية
 فؤاد شاكر
 المهندس حسن فتحي

- ٦٨ - قادة الفكر الاقتصادي
 ٦٩ - المسرح الغنائي العربي
 ٧٠ - الله أم الطيعة
 ٧١ - بحر الهواء الذي نعيش فيه
 ٧٢ - الأدب الفرنسي في عصر النهضة
 ٧٣ - الحرب ضد التلوث
 ٧٤ - القصة والمجتمع
 ٧٥ - المنتظرون الثلاثة
 ٧٥م - محمود أبو الوفا
 ٧٦ - العسكرية الإسلامية
 ٧٧ - النفايات الدرية
 ٧٨ - الإعلام والتقدم الفني
 ٧٩ - المسرح الأمريكي
 ٨٠ - زحف الصحراء
 ٨١ - مشاكل الطفل النفسية
 ٨٢ - الأدب التركي
 ٨٣ - مساهمات الحيوية
 ٨٤ - الرواية الإنجليزية
 ٨٥ - الفصحى فلسفة وفن
 ٨٦ - الاستشارات الأجنبية
 ٨٧ - لغتنا الجميلة
 ٨٨ - الحرب عند العرب
 ٨٩ - ثلاث نحرف اليكاه
 ٩٠ - الإسلام وروح العصر
- د . صلاح نامق
 محمود كامل
 د . يوسف عز الدين عيسى
 د . بدحت إسلام
 د . رجاء بالقوت
 رجب سعد السيد
 يوسف الشاروني
 عبد الله الكبير
 فتحي سعيد
 لواء / جمال الدين محفوظ
 د . محمد عبد الله بيومي
 د . أحمد المغازي
 د . عبد العزيز حمودة
 د . محمد فتحي عوض الله
 د . كلير فهم
 د . حسين مجيب المصري
 د . محمد صادق صبور
 د . إنجيل بطرس
 جلال العشري
 د . عبد الواحد الفار
 فاروق شوشة
 د . عبد الرحمن زكي
 نشأت التلطي
 د . حسين فوزي النجار

- ٩١ - التراث الشعبي . د . عبد الحميد يونس
- ٩٢ - علم المنطق . د . محمد مهران
- ٩٣ - القلب وتصلب الشرايين . د . رجب عبد السلام
- ٩٤ - فن الحزف . سعد الحفادم
- ٩٥ - الإعجاز القرآني . د . محمد أحمد العزب
- ٩٦ - سفراء النبي . د . مختار الوكيل
- ٩٧ - ساعة مع القرآن العظيم . د . عبد العظيم المطعني
- ٩٨ - لغة الصحافة المعاصرة . د . محمد حسن عبد العزيز
- ٩٩ - الكيمياء الصناعية . د . محمد الحلوجي
- ١٠٠ - الدراما الأفريقية . علي شلش
- ١٠١ - وكالات الأنباء . شفيق عبد اللطيف
- ١٠٢ - الحدودية والحكاية الشعبية . محمد فهمي عبد اللطيف
- ١٠٣ - ألف باء السياسة . د . أحمد حمدي محمود
- ١٠٤ - تطور الشعر في الغناء العربي . عطاس عبد الملك
- ١٠٥ - الحرب الإلكترونية . عبده مباشر
- ١٠٦ - البطل في القصة المصرية . حسن محسب
- ١٠٧ - عجائب الحشرات . د . محمد طلعت الأبراشي
- ١٠٨ - الإذاعة خارج الحدود . أنور شتا
- ١٠٨م - مصر الخضراء . د . فاروق الباز
- ١٠٩ - القانون الطبيعي وقواعد العدالة . د . عبد السمیع المرادی
- ١١٠ - فن التصوير السينمائي . أحمد الخفري
- ١١١ - الطائفة . د . محمد فتحي عوض الله
- ١١٢ - الفن والمرأة . شريفة فتحي
- ١١٣ - نظام الحكم في الإسلام . د . مصطفى كمال وصفي

- ١١٤ - رحلتى مع الرواية
 ١١٥ - التطوير
 ١١٦ - الأدب والمواطن
 ١١٧ - آفاق جديدة في التعليم
 ١١٨ - الفن القبطى
 ١١٩ - اجتماعيات التنمية
 ١٢٠ - المسرح الشامل
 ١٢١ - رسائل إخوان الصفا
 ١٢٢ - الرمزية الصوفية في القرآن
 ١٢٣ - الحب في الشعر الفارسى
 ١٢٤ - الإنسان والعلم
 ١٢٥ - نظرات في القصة القصيرة
 ١٢٦ - الفراعنة أساطين الطب
 ١٢٧ - كهف الحكيم
 ١٢٨ - فنون الزجل
 ١٢٩ - للأبناك فلسفة وأسرار
 ١٢٩م - رعاية الطفل المعوق
 ١٣٠ - الروايات اليونانية
 ١٣١ - الأسرة في الدين والحياة
 ١٣٢ - الأدب والحضارة
 ١٣٣ - الجراحة علم وفن
 ١٣٤ - علم النفس والجريمة
 ١٣٥ - فن المقال الصحفي
 ١٣٦ - الانحراج السينمائي
- فتحى أبو الفضل
 د . منى فريد
 عباس خضر
 د . طلعت حسن
 د . باهور لبيب
 د . محمود الكردى
 أحمد زكى
 د . على السكرى
 د . سيد عبد التواب
 د . عفاف زيدان
 د . عبد العزيز أمين
 حسين القباني
 محمد عبد الحميد بسبولى
 فتحى العشرى
 محمد فتنديل البقلى
 د . مصطفى الديوانى
 عبد التواب يوسف
 كمال محمود حمدى
 المستشار محمد عبد الفتاح الشهاوى
 د . نعام أحمد فؤاد
 د . عوض الدحة
 المستشار محمد فتحى
 د . عبد العزيز شرف
 د فاروق الرشيدى

- ١٣٧ - فلسفة الجهاد
 ١٣٨ - النظام المالي في الإسلام
 ١٣٩ - الفن التأثري
 ١٤٠ - الكيمياء عند العرب
- د. أميرة حلمي مطر
 د. إبراهيم لقزاد أحمد
 صبحي الشاروني
 د. منحة إسلام

رقم الإيداع	١٩٨١/٣٩٥٨
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٧٣٤٩-٨٣-١

١/٨١/٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج. ن. ع.)



تقدّم

خمس ٢٠٪ على كتب دار المعارف
١٠٪ على كتب الغير عربية ومستوردة
٥٪ على الكتب الجامعية

لأصدقاء دار المعارف
مرحباً بك ضيفاً لنا

- تقدّم إلى أقرب مكتبة من مكاتب الدار :
- اطلب نموذج طلب الصداقة واستلم بطاقة الصديقت
 - ادفع مبلغ جنيه واحد
 - عندما تصل مشترياتك إلى ٢٥ جنيهاً سيرد إليك الجنيه
 - تتمتع بميزات الصداقة طالما تحمل بطاقة الصديقه

مكاتب دار المعارف
منتشرة في المدن الكبرى

القاهرة - الإسكندرية - طنطا - شبين الكوم - الزقازيق - المنصورة
الاسماعيلية - المريوطية - أسسيوط - سوهاج - قنا - أسوان

دائرة الذات

هذا الكتاب

الإنسان هو الكائن الذي يتجاوز ذاته ويعلم
على نفسه ، وتحقيق الشخصية للإنسان هو هذا
العلم المستمر على الذات ، فالإنسان يتزعزع دائماً
إلى الخروج من دائرة الذات المغلقة
وهذا البحث يدور حول حرية الإنسان
ومحاولة الخروج من دائرة ذاته الضيقة منجهاً
صوب التفوق على نفسه وتحقيق شخصيته .

١٠١٧٨١٠١



To: www.al-mostafa.com